تفعل امرأة بريئة إذا اتهمت ؟ وليس هناك وحى ينزل ليبرىء هذه أو تلك ..؟ كيف يتصرف إنسان فى مثل هذه المحنة ؟ وماهى الآداب والحدود ؟ كل هذا نأخذه من فعل الرسول الحكيم ، أثناء هذه المحنة ، ومن كتاب الله الذى بين القواعد والآداب ، وصان الأعراض وشدد النكير على من يخوض فى شيء من ذلك ، وتوعدهم بأشد أنواع العذاب ، وبهذا يكون بيت النبوة قد قدم لنا كل الهدى فى جميع القضايا التى تهم الرجل والمرأة على السواء فى كل شأن من شئون الحياة ...

لم تقف الحكمة عند حياة الرسول ، بل وبعد انتقاله إلى ربه ، كان لنا فى حياة أمهات المؤمنين من بعده دروس وعبر ، نسوقها سريعا بعد معرفة مشهد الوفاة ...

وفاة زوجات الرسول

كان الرسول فى مرضه يسأل كل يوم أين أنا اليوم يستبطىء يوم عائشة ، فتبرعن عن طيب نفس بأيامهن لعائشة ، ليتمرض فى بيتها ، وكان الرسول يقول لهن ... أسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا .

زينب بنت جحش :

فكانت نساء النبى إذا اجتمعن بعد وفاته عليه السلام ومددن أيديهن لم تكن زينب بنت جحش أطولهن يدا ، فلما ماتت علمن

أن المقصود : الصدقة ...

ولما حضرتها الوفاة قالت إننى قد أعددت كفنى ، وإن عمر أمير المؤمنين سيبعث إلى بكفن ، فتصدقوا بأحدهما ...

ويروى أن عمر أرسل إليها عطاءها اثنى عشر ألفا ، فجعلت تقول : لايدركنى هذا المال فى قابل فانه فتنة ، ثم قسمته فى أهل رحمها وفى أهل الحاجة ...

وعندما بلغ عائشة نبأ موتها قالت : ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل .

مارية رضى الله عنها :

عاشت بعد الرسول ٥ سنوات ، فى عزلة متعبدة ، وتوفيت فى عهد عمر بن الخطاب سنة ١٦ هـ ، وقد بنى عبادة بن الصامت الصحابى الجليل مسجدا فى مكان بيت مارية فى قريتها بمصر ، والحسن بن على طلب من معاوية رفع الخراج عن أهل قرية جفنة بقرى صعيد مصر إكراما لها .

زينب بنت خزيمة رضى الله عنها :

توفيت سنة ٣ هـ فى حياة الرسول ، فقد بقيت عنده شهرين أو ثلاثة ، وتوفيت عن ٦١ وقيل ٦٣ عاما ، وهى ثانى زوجة تتوفى فى حياة الرسول بعد خديجة رضى الله عنها .

أم حبيبة رضى الله عنها :

وهى على فراش الموت دعت عائشة وقالت لها : قد كاد أن يكون بيننا مايكون بين الضرائر فتحلليني من ذلك ، فغفر الله لك ولى . ماكان من ذلك فحللتها عائشة واستغفرت لها ، وتوفيت رضى الله عنها سنة ٤٤ هـ .

حفصة رضى الله عنها :

كان يصرف لها الخليفة أبو بكر من مخصصات بيت المال شأن أمثالها من أمهات المؤمنين ، فتتصدق بأكثره ، وتبقى مايقيم أودها ، توفى الرسول عنها وعمرها ٢٨ عاما ، أودع أمير المؤمنين عمر المصحف الشريف بعد جمعه عندها ، وفى خلافة عثمان عندما كثرت لهجات الناس كتب منه عدة نسخ وأرسلها إلى الأمصار ، توفيت سنة ٤٥ هـ .

صفية رضى الله عنها :

كانت تحمل الطعام والماء لعثمان فى محنته ، عاشت متعبدة على مائدة القرآن ، وروى عنها : وشت بها جارية لها إلى عمر بن الخطاب وقالت : ياأمير المؤمنين إن صفية تحب السبت وتصل اليهود ، فبعث إليها عمر يسألها فقالت : أما السبت فإنى لم أحبه منذ أبدلنى الله الجمعة ، وأما اليهود فإن لى فيهم رحما فأنا أصلها ، ثم التفتت السيدة صفية إلى جاريتها فسألتها عما حملها على مثل

هذا الافتراء ، فأجابت الجارية : الشيطان ، وردت صفية قائلة : اذهبى فأنت حرة ... توفيت سنة ٥٠ هـ .

سودة بنت زمعة رضى الله عنها :

لم تبرح مكانها ولا بيتها بعد انتقال رسول الله ﷺ .. وكانت تقول : والله لا تحركنى دابة بعد رسول الله ، كان يزورها أهل الفضل والعلم ، فتزودهم بما تعرف وتروى لهم مارأته من أفعال رسول الله ﷺ ... توفيت سنة ٥٥ هـ .

جويرية رضى الله عنها :

توفيت فى خلافة معاوية سنة ٥٦ هـ ، ولها من العمر ٦٥ سنة ، وصلى عليها مروان بن الحكم ، وكانت قد لزمت بيتها بعد وفاة الرسول ﷺ .

عائشة رضى الله عنها :

لما توفى الرسول كان عمرها ١٨ عاما ، لتكون عزاء لكل امراءة تترمل صغيرة ، إذ يكون لها فى أمها عائشة أسوة حسنة ، إن لم يحالفها الحظ فى زواج آخر ، وهذه مقادير تجرى على الخلق ، شاركت فى الحياة العلمية والسياسية فى حياة الرسول وبعد وفاته ، فقد روت عنه أكثر من ألفى حديث ، كما خرجت فى جموع من الناس فيهم الزبير بن العوام وولداه عبد الله وعروة على على كرم الله وجهه لأنه تأول فى تسليم قتلة عثمان أو محاكمتهم ... اتجهت

إلى البصرة تستنهض الهمم وتستثير الناس ..توفيت سنة ٥٨ هـ .

أم سلمة رضى الله عنها :

يروى عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيسترجع ، ويقول اللهم آجرنى فى مصيبتى ، واخلفنى خيرا منها ، إلا أخلف الله له خيرا منها » . فلما مات أبو سلمة تذكرت قول الرسول ، قالت فى نفسها : من خير من أبى سلمة رجل نال الصحبة ، وشهد المشاهد مع رسول الله ، ولكنها استرجعت وقالت : ما أوصى به الرسول فأخلف الله لها خيرا من مصابها وأكرمها برسول الله ﷺ .

ـــ حين عزمت عائشة على الخروج ضد على كتبت إليها أم سلمة تقول : (من أم سلمة زوج النبى ﷺ ، إلى عائشة أم المؤمنين ، فإنى أحمد الله إليك الذى لاإله إلا هو ، أما بعد ، فقد هتكت سرة بين رسول الله وأمته حجاب مضروب على حرمته ... قد جمع القرآن ذلك فلا تندجيه ، وسكن الله من عقيراك فلا تصحريها ، لو علم رسول الله أن النساء يحتملن الجهاد عهد إليك ... أما علمت أنه قد نهاك عن الفراطة فى الدين ، فإن عمود الدين لايثبت بالنساء إن مال ، ولا يرأب بهن إن صدع ... جهاد النساء غض الأطراف ، وضم الذيول ، وقصر المودة ، ما كنت قائلة لرسول الله لو عارضك ببعض هذه الفلوات ... إلى آخره) .

ـــ أرسلت أم سلمة إلى معاوية حين أمر بلعن الإمام على تقول : إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم ، ذلك أنكم تلعنون على بن أبى طالب ومن أحب ، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله ...

ـــ وقد قدمت ابنها عمر لعلى كرم الله وجهه قائلة : ياأمير المؤمنين لولا أن أعصى الله عز وجل وأنك لا تقبله منى لخرجت معك ، وهذا ابنى عمر والله لهو أعز علىّ من نفسى يخرج معك فيشهد مشاهدك ... ثم مضت إلى عائشة فقالت لها : أى خروج هذا الذى تخرجينه ؟ الله من وراء هذه الأمة ... لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لى ادخلى الفردوس لاستحييت أن ألقى محمدا هاتكة حجابا قد ضربه علىّ .

ـــ روى المؤرخون أنها دخلت على عثمان فى خلافته ونصحته قائلة : يابنى مالى أرى رعيتك عنك نافرين ، وعن جناحك ناقرين ، لاتعف طريقا كان رسول الله ﷺ يحبها ، ولا تقتدح بزند كان الرسول أكباه ، وتوخ حيث توخى صاحباك ، فانهما ثكما الأمر ثكما ولم يظلما ... هذا حق أمومتى قضيته إليك ، وإن عليك حق الطاعة ، فقال عثمان : أما بعد فقد قلت فوعيت وأوصيت فقبلت ، توفيت سنة ٦٢ هـ .

ميمونة رضى الله عنها :

توفيت سنة ٦١ هـ ، وقيل بعد ذلك فى خلافة يزيد بن

معاوية ، ويقال أنها آخر من مات من أزواج النبى ﷺ ، ويقال أم سلمة ... وكان عمر ميمونة عندما توفيت ٨٠ عاما ، طلبت أن تدفن فى سرف حيث أعرس بها رسول الله ﷺ .

« وهكذا انتهت هذه الحياة الحافلة الزاخرة بجميع المواقف الإنسانية ، فى أخص شئون الرجل والمرأة ، فى العلاقة الخطيرة التى لايمكن أن يحددها قانون ، ولا يدخل فى صميها أحد إلا طرفيها والله من ورائهم ... « وقد كانت أمهات المؤمنين حول الرسول كالكواكب حول الشمس ، لكل كوكب حجمه ومداره ، وسرعته ومناخه ، وحياته التى لاتتكرر على مدار جميع الكواكب ... وأدعو بدورى كل من يقرأ هذه الصفحات أن يفكر معى هل بقيت صورة من العلاقة الزوجية لم تستوعبها هذه المجموعة المباركة . وأخيرا يسأل نفسه سؤالا واحدا : من أين لنا الهدى فى أخطر قضايا الإنسان مالم يكن ضمن الحياة العملية لرسول الله ، أو ليس من الحكمة الكبرى أن يستوعب هذا العدد القليل من النساء جميع ظروف المرأة فى علاقتها بالرجل ... ؟ أليست هذه معجزة أخرى تضاف إلى معجزات الرسول ؟ وقد أخرج البيهقى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة : أن الرسول ﷺ تزوج بخمس عشرة امرأة دخل منهن بثلاثة عشرة واجتمع عنده احدى عشر ومات تسع ، وصدق رسول الله : « ماتزوجت شيئا من نسائى ولا زوجت شيئا من بناتى إلا بوحى جاءنى به

جبريل عليه السلام من ربى عز وجل » وصدق الله العظيم ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ﴾ .